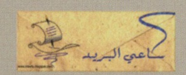
المُصْطَلِم

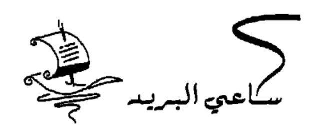
عبدالله البلوشي





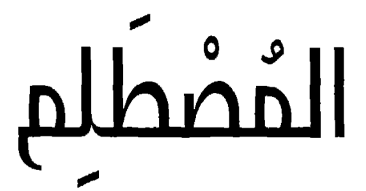
عبدالله البلوشي

المُصْطَلِم

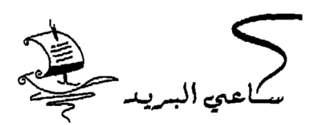




عبدالله البلوشي



لوحة الغلاف: للفنان العماني موسى عمر



www.timefrs.blogspot.com



ص.ب. 113/5752

E-mail: arabdiffiusion@hotmail.com

www.alintishar.com

بيروت - لبنان

هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-379-0

الطبعة الأولى 2013

إلى الحسين بن منصور

رماداً في النهر

وروحاً في السموات

المبتـــدأ

ليس ثمة ما أكتبه عنك

سوى عن وجهك المضاء

في الريح..

وأنت تقطع الطرقات بقلبك الغض

من معبر إلى آخر

كمثل ورقة

أينعت في بحيرة دم.

مستأنساً

كنت تباغت الفراشات

وهي تحوم على خصل شعرك الندي

بينما تهمس لك وردة الفجر:

أن يدك الغضة

ستندس في ضفاف نهر مجهول.

ومن هناك

من البقعة التي أرضعتك

شآبيب الغيم

خرجت متدثراً بحلة صغير

لتلتمس الخلاص

بأديم أرض مسيجة بالشوك.

تهجع الطيور عند ممشاك

ربما لأن حواصل إحداها

ستستقر دائمةً في مهدك الأعمق

لتبشر النازلين عتمةً

عند ضفة النهر

بدمعة وصلك المنسكبة

على صفحة الكون.

تفكر بالسماء

وبالريح .. إذ تمدد عويلها المنساب

عند الشجرة التي تسمعك

دون أن تنبس بكلمة

بينما الشمس ماثلة هي الأخرى

كمقصلة

هي من سرّع وقع خطواتك المندفعة

كقدمي طفل

لتُبتر من شدة اللهو.

تتراقص وراءك العقبان

منتشياً كنت

لاتلتفت إلى رفاقك في الوراء

إذ لم يكن ثمة من شئ

سوى ذلك المخدع

الذي يلفك بحنوه الملائكي

في الحياة وفي الممات..

حيث تصبح مضغة من جسدك المنثور

ومضة الباكين في الأعلى.

وما أن أسندت ظهرك

على جذع الموت

حتى أتوك يتقاطرون كأنهم شهب لامعة

ليلبسوك خرقة الخوف

هي الشاهدة على الفيض

وعلى المرارات التي أبسمت ثغرك

في مقام اللّه.

مرتمياً بين ضفتين

زهرة باكية تنصت لصوتك الأرضي

يريدون أن يبقوك بعيداً

أو ربما

على مقربة من أجسادهم

تلك التي تقطعت من فرط بكائهم الليلي

إذ لم يكن أمامك

سوى الرحيل إلى منائر الضوء

لترجع بعدها

مرتدياً بظل الليل

وموقناً أن الخلاص

غائر بعمق السموات.

وإذ تأخذك الخطى

ساعة تلمس الوجد

فلا تقع عيناك

سوى على أجساد العائدين

من قفر الموت

كأنهم الظل

معلقاً.. أعلى صفحة النهر

وحين تلهبهم الشمس بسياطها

فإنك لاترى

في مقام نومهم المزهر

سوى قطرات مياه لامعة

وأنين.

ومن هناك

من أعلى الفسحة الأجمل

حيث يرسل القمر ضوءه المكسور

أملت عنقك

مسدلاً كأنه الريح

رافعاً راحتيك الداميتين

كخشبة نحو مهجة في الطلق

بينما حط الباكون أقداح مياه

وشيئاً من خبز مقدس.

إذ أبصرك العابرون في هزيع الليل

شاخصاً

بعينيك الدامعتين

في لفة قماط.

وعند انبلاج عمرك

كزهرة نبتت في الظل

ارتحلت إلى بقعة الضوء

حيث مربع مضاء

إذ لم تكن الشمس

ولا القطر الذي ينزل على جسدك

كمثل مسامير جارحة

إلا كتطواف فراشة

نبعت من عويل الريح.

تسكرك الظلمات

وسواد جبال مرقعة كامتداد الظل

وتلك الهاجرة التي أسقطت

نبل غضبها على جبهتك

متآكلةً من فرط الدنو

ومن أثر عرقك النازف كأنه الفيض

وأنت.. فى المدى الأوسع

لاتشبه

سوى قبّرة صارخة.

تنادم الليل

متكئاً إلى جوار شجرة

تتهجد في العراء.

يلازم مسيرك الغيم

وكانت

كلما خرجت إلى الأوحد

تلقتك الطير

بفرح سماوي.

يزاحمك الوزّاقون

طلاسم بيدهم

لايفقهون

كيف تقرب النائي إلى اللّه

ولا المدفون حياً

إلى الحتف

لتهجر عارفيك بعدها

إلى الضفة ـ الأم ـ

هناك إزاء بقعة تنفرد وراء النهر.

جسدك يجاور الريح

والزائرون لباب قبرك المشرع

ندامى

يرمونك بنظرة فاحصة

وتقول لمن أيقنت أنه صنو الروح:

أنتم الأقرب إلى شغاف القلب

بينما هم

من سيدفع غداً

بجسدك نحو الماء.

مصوباً نظرتك إلى النهر

وإلى القبة الأشبه بقمر مكسور

تحمل دمك الذي لايعلم

أين ستسقط آخر قطرة منه

إذ أبصرتك وحيداً

تهتز كطائر صغير

مخافة

الموت.

مغترباً

تستقر كأنك الظل

تدفعك العزلة نحو الحتف

إلى جوار شجرة

بكت بين تلابيبها طيور اليتم

بينما يرفرف على رأسك

نجم وحيد

وأنت خاضع في الظلمات.

ولم تكن توقن

أن الوردة التي أسمعتك

صخب المناحات

هي من سيكون ضوء سراجك الخافت

دليلاً للمارين عتمةً

أسفل الشجرة الأم

أو لفراشة حانية

وهي تعبر بجناح وحيد

نحو بيت مقفل

في السموات.

وقلت يا لهذه الأكوان

ضاجة في قلبي المكسور

ويا للمعة نجومها التي ترمقني بطرف خفي

لذلك انحنيت وحيداً

على سرك الأكبر

لترحل

باسماً في الحياة

ومنتصباً في الممات.

منفرداً

أبصرتك هناك

تتنفس ثمالة الريح

بينما تتهادى نجمة لامعة في الشرق

موزعةً وميضها المسكر

لندمائك التائهين في الأعلى

وللقُبّرة التي أينع

في محاجرها دمك المراق.

قلبك معلق في الليل

وصوتك الذي أوصل

خيطه الأدق

نحو الشرفة الأقرب

من فضاء بعيد

هو من قرب

فجر المقصلة.

عينك على النهر

مترامياً كان

كدائرة في كونها الأوسع

إذ وقفت في العراء

صارخاً في الجمع

وهم يتقاطرون نحو صوتك النازل

من أعلى القبة اللامعة

أسفل الغيم

منادياً:

أنك الأوحد خذني إلى الموت.

قافلاً تعود

إلى البقعة التي دللت قدمك المبتورة

لتسأل صنو قلبك الأصغر

عن ذلك الصوت

الذاهب عميقاً كالصحراء

وهو يؤذن

بأن للفجر ميلاد توحد آخر.

تنازعك الأشواق

قلت:

يا لهذا العمر الأقصر من لفح وردة

وهي تلتمس من عابريها

قطرة ماء

لتسكن بعدها أنت

عرض صحراء مفجعة

هي من أرضعتك في مفازاتها

مياه الشوق.

تجثو على الشوك

وتساءل الطير..رفيق ظلك الدائم

هو من يرمقك واقفاً

في فضاء مهجور

منكس الرأس

كمثل كائن

يحيطه ندماء يتباكون

على ذبيح لهم.

وكنت إذا ما قامت الخلائق

إلى تلمس شمسها

تأتي بقدحك الأصغر

كأنما رائحة صبرك فيه

لينفذ بك إلى الأعلى

وإلى السديم

الذي اصطلت قدمك المبتورة فيه.

مهجتك لم تعرف الهجعة قط

وعندما كنت تحط رحلك

إلى جوار ثكنة الجند

لتسأل

عن سر ما ينكب هذه الروح

فإنهم يشيحون بوجوههم عنك

كأن الجبة التي يعتمرونها

هي من ستحل على رأسك المضاء

لتعود بعدها من هناك

جافلاً كالطير.

هكذا

أزحت جسدك باتجاه أقمار أجمل

لمعت هناك

وتحت الشجرة

التي أظلتها نجمة ساحرة

لتسأل الطير

عن لثغة صوتك الأول

وعن سر انحناءة هذا الكون.

وعندما أغراك النديم

لترحل إلى مطلع الشمس

لم تبصر أمامك من تعهد

إليه طفلك الأوحد

خافياً فجيعةً كالصحراء

وكالكلمة التي

أضاءت شموساً على شموسهم.

محنتك

أن يدفعوا بصوتك إلى الظُلمة

لكن الأبجدية التي

عشقها زوارك

هي من أبقى على الخيط

معلقاً

كثمرة ناطقة.

تحجرت قدماك على حافة الظل

لتنظر باكراً إلى الصباح

يعيدك بياضه

إلى الأعلى

بعد أن أفنيت سحابة ليلك الأطول

منتحباً

تحت قبة سماء

مطرزة بالنجوم.

يمرون عليك ببسالة شائقة

أو هم على جياد مطهّمة

رافعين رؤوسهم

بينما الدمعة المنسابة

حين أبصروها تحت لثامك الأيسر

هي من عجّل

بزوال أجسادهم إلى الوراء.

ولكي لا تشق

على الذاهبين إلى الأعلى

وضعت بين دفتي محرابك

أقواس الموت

لتفيق مذعوراً

على صوت زوارك الأنقياء

وهم يتوافدون

عند عتبة بابك الموصود.

مرتحلاً

حيث السماء أقرب

يبعدك الخوف

ويدنيك وجع العالم

وجياعه الموتى

نظرتهم هي معبر

إلى فضاء أوسع

وبوصلة أوصلتنا إلى ردهة الملكوت.

لقد تعهدتها في الظلمات

وعند انبلاج الفجر

وفي الضجة الأولى لملائكة

كأنهم الضياء ممدأ

حيث مبدأ الكلمة الصاعدة

إلى ثلث السموات

لتلتقي هناك

كهيئة طائر مرسل.

مقترباً من قبرك المجهول

معرّفاً في الأبدية قبل النطق

ومن حيواتك المتجددة

وهي تُقذف باتجاه الريح

هناك....

من أعلى السلم الحجري

سقطت روحاً

كحبات رمل مضيئة كالأقمار.

تخيفك الريح

غير ملتفت إلى الخلق

بينما تقتفي أثرك الكائنات

وهي تكشف عن مخالب مرعبة

وعندما لامست أطراف صايتك المرقعة

لم تملك إلا أن

تربت على كتفك المنتفض بحنو

وتغسل ندوب وجهك بدمعها الأصدق.

أناملك في السديم

وجبهتك التي لم تلتمس

سوى المدد

الساقط كوخز جرح أعمق

هي من أنبتت

على الميمنة منك زهرة البقاء

لتزجي شعاع رعشتها الغامر

لأعلى غيمة

حيث انضوت كلمة ساكنة.

حاملاً

يقظة الكون بين جفنيك

إذ ليس ثمة ما يحجب سمواته عنك

ولا عن مرور شهقة أطلقتها أنت

في دربك المضيء

لتترك وراء خطواتك المنسية

هجعة العالم.

قلت في الوحشة

وحينما أرسل القمر أول خيط بعيد:

ألم يحن لهذه الروح

أن تنفذ إلى مخدعها البهيج

أو أن تلتصق بورقة متيقظة

أو بجناح طائر يتيم؟

المنتهــــــــى

عصفت بهم الريح

جموعاً وفرادى

أتوا ليرفعوك أسفل الخيط

هناك أبصرت البدايات

والتقت عيناك بأولئك الخلق

هم من تبتلوا في الباحات

وتمسحوا برائحة زهرة خجلى.

بقلبك عد إليه

عد إلى من وعدك بحضورهذا العرس

لترمقك الأمهات بعيون مطفأة

بينما أخفي الصغار

دموعهم النازلة كالفجر.

بعيداً عن الخلق

بعيداً عن ندبة نبتت بجسدك

عند الوقوف طويلاً أمام اللّه

بعيداً عن الشجرة

التي راهنتك على العودة أو الموت

بعيداً عن الطائر

مزهواً

يحيطك بالضياء.

تمسكْ بعذوبة ذلك الصوت

أو بجثمان طفلك الأوحد

مسجىً كان

كنيزك وادع حط في الصحراء

تمسك بصوت أمك

آتياً من مفازة كالليل

هي من أودعتك جليساً للينابيع

تمسك بقنديل فجرك

إذ

المسكنة أبهى.

وفي الهجير

بعد أن طهروك بسهامهم

نهضت مصوب العين

طويلاً منفرج الأسارير

ووديعاً كمثل رضيع في أقمطة زاهية.

هكذا أفقت وحيداً

على أصوات من يبكيك

كائنات مختبئة بحجم الظل

وأطفال مفتونين وحزانى

يتأملون إشراقة ثغرك الأغر

صانع مجدك

ومن أنطق الكلمة تحت مفاجر الشمس.

قدماك صوب الأرض

تذكرت أنها الجالبة لهذا اليتم

ومن أرضعك لفح المناحات

عندما كنت مشرداً في بلاد اللّه

إذ يلفك الفيض

وتغدر بك الكلمات.

هكذا بدأت

كأنك أسفل شجرة متوحدة

نبتت في أقاصي الشمال

ساقية لثغتك الأولى

ونبوءة زوالك إلى الأوحد.

وفي مطلع الفجر

من اليوم الذي أظلمت

فيه سماء قبرك المفتوح

جاء لينتزعك الجند

وليثبتوك إلى جوار سهام لهم.

لقد زدتهم من برد قلبك الوضاء

يطلبون منك وصايا:

لطفاً بهذه الروح يا إخوتي

وبالمغاليق التي أوصلتكم ناحية السماء

واصغوا لمزامير أرسلت صوتها

حيث عكف العارفون هناك

كسرب طير هارب.

رحبةً كانت ساحة الجسر

في اليوم الرابع من الشهر

الذي صار ميلاداً لوقوفك المشهود

ثمة أصخت السمع لوجيف قلبك

وللروح

التي

اشرأبت كعين دامعة.

تبيت كأنك الطير

على جذع همٍ أقصوك فيه

لم تنظر إلى الليل

ولا إلى الفسحة محبسك الأخير

هناك كنت تزاحم الريح

ملتمساً

أن تنفذ بنطقك إلى الأعلى

وإلى البقعة حيث أنسة الخلق.

بوصلة تدلك إلى المنفى

حيث الجمع

وإذ سقطت على حين غرة

في آخر الليل

كأنك نجم منكسر

حيث نزعك الأخير مستودع الأسرار.

وتراءى لك الخلق

كأنهم يُسقون مياه أنهار جارية

ثم لم تلبث أن تجف

لتذهب بهم الريح

نحو مصارع مقفرة

وحيدين سيخلعون حكمتهم

وحيدين

سترحل بهم العاصفة.

تتمايل في قيدك وتبتسم

لقد أنطقك الوجد

حين كنت تنادم الكائنات جهاراً

وتسألها عن مساقط هذه الروح

هي أكبر من فضاء معتم

وتمد يدك

مشعةً

كقمر شفيف.

معلقاً بالأجرام

متناسياً أن بتر أطرافك الصغرى

ستدفع بهم إلى الموت.

عارف أنت

مقام من أوقفك إلى جانب الظل

وموقن أنت

أن جسدك نذر الباكين في الطور.

هناك على مقربة من منصة الموت

دعوت رفيق ضلعك الأول

ليمنحك مفرشة مقدسة

ثمة أصبحت الجهات باكيةً

كعرصة الخلق في الملأ الأول

حيث الكلمات قد نطقت

في سفر السموات.

وقلتَ: اغفر لهم

فأنا الذاهب إليك ولو بعد حين

وأنت الماثل في كل صوب

وأنا المائل إلى جوارك

وأنت المانح لرمقي القصير

والقائم بحفظي إذ أبعدني الخلق.

وقلتَ: اغفر لهم

بدوامك على المحال

فأنا الغارق في بحرك

وأنا العارف بوصالك

وأنت الكاشف لي ما لم يروه

ولو تكشف لهم

لاستحالوا إلى أزهار دامعة.

لكن

لم تنحن يدهم على جسدك الغض

ولم يتأملوا طويلاً

في المسكن الأعمق لهذه الروح

ليوقنوا

أن قطرة دمك النازلة على ضفة النهر

ستظل شاهدةً

على مصرع كائن وادع.

ولكي يظل موتك حياةً مرسلة
هتفت لصنو قلبك الأقرب
دامعاً كان
بجوار شجرة في الطلق:
أنا من ولدت وحيداً
وسأموت بين الجمع
بيني وبينك الليل
حيث الأبدية وحدها
هي من ستنطق غداً
برفات مهجتي.

ألوذ بشاهدة ركنك الأعظم

مقترباً من برد غصة دائمة

وبمددك أحتمي

أنت الذي أسقيتني مرارة الكون

وأنت الأعلى في المقام

الأرفع بالبيان

أشهدك بأنني في حضرة الموت

ومن هنا

ستحملني الذاريات

نتفاً

ورماداً

إلى الأنهار.

من الفيـــــض

متعلقاً في العراء

أنت من أضنيت قلبي الصغير

لتحفظني الأكوان

في دائرة شمسها.

أتأمل كونك بنظرة المبصر

أنا الخطيئة والورع

وأنا العين الدامعة

في الأعلى وعند الممات.

أبعُد إليك منك

لا أحتجب

خاضعاً هناك

تتلقفني مدية

ويفنيني البكاء.

أهجرك في الظلمات

فأنز بمشاعل ركنك القصي

سحابة قلبي

يامن في العلو أنت

وحين تولد وردة الفجر

كإغفاءة أمي.

أبصرك في مبهج الكون

وفي الجسد الأدق من ترياق قطرة ماء

تهجدت في الظلمات

يطلبونك في العلو

وأنت مقصدي على الدوام.

محمولاً

كرأس طائر مقطوع

أنت من ألقيتني في الوحشة

وقلت لي:

ابعد إلى الوراء

حيث رفة عمرك والطوفان.

الغلس بكائي الأول

أنادمك سائراً

وعند اليقظة الموجعة لصمت الكون

أناديك

كقبّرة تومئ لزائريها:

أن ارحلوا نحو فيض الحق.

لقد أدنيتني من الوجد

تنوحني الظلمات وتبعدني

قلتُ:

أعدني إلى السكينة الأعمق

حيث بابك المشرع

قبالة زهرة تجلدها قطرة ماء.

أقتفي أثر نورك البعيد

وأنا العابر على اليم

تأخذني الموجة العذبة

نحو صدرها الأوسع

وتحطني الظلمة فوق الماء.

لقد أبعدتني نحو مضيق أوحد

أقر لك

وأنا الراكع في الظلمات

بأنك الأقرب

إلى مضغة قلبي الصغير

وأنت من أوقفتني في الظل

وأضنتني السموات.

أكتب إليك خفقةً أعلمها

هي المنسأة في القرار الأعمق

وهي مايبقي خيط العين

ممداً دون جواب.

لقد دنوت لأرتقي الطور

معطل جسدي

لم أخضع لزئير عاصفة موجعة

ولم أشرب بفمي برد ماء هذا الكون

عطشي كانت هذه الروح

أنا اليتيم ببابك الأزلي

حيث أصبحتي الباكين حول الشمس.

أنت من أهديتني شمس الليل

هي لاتغرب كشمس الخلق

لأن شمسك دليل العين

يكفي أن أكون وحيداً

في صحراء مقفرة.

أناديك من أعلى سلم الكون
قلت اكفني كل هذا الخوف
أنا القريب كأنني الغائب
وأنا الذاهب إلى مستقر دائم
ثمة أستظل
بشعاع
نجمة
لامعة.

صدر له

- برزخ العزلة ١٩٩٤
- فصول الأبدية ١٩٩٦
- معبر الدمع ٢٠٠٧
- أول الفجر ٢٠١١

وما أن أسندت ظهرك
على جذع الموت
حتى أتوك يتقاطرون كأنهم شهب لامعة
ليلبسوك خرقة الخوف
هي الشاهدة على الفيض
وعلى المرارات التي أبسمت ثغرك
في مقام اللّه.



المُصْطَلِم